معركة عمورية ... في العلاقة بين الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية

٢٢٣هـ/٨٣٨م

د. طارق بن فتحي بن سلطان
قسم التاريخ ـ كلية التربية
جامعة الموصل ـ العراق

ملخص البحث :

شكلت معركة عمورية إحدى المعارك المهمة في تاريخ الصراع الإسلامي البيزنطي في العصر العباسي، فقد استغلت الإمبراطورية البيزنطية الظروف الداخلية للخلافة العباسية لصالحها، وبدأت تهاجم الثغور الإسلامية، وكان أخطر تلك الأعمال ما قامت به في مدينة زِبَطْرَة ، حيث مثلت بالأسرى وأحرقت المدينة، وأخذت الإمبراطورية وعلى رأسها الإمبراطور البيزنطي تتباهى بتلك الانتصارات التي حققتها على المسلمين.

لهذا جاء الرد قاسياً من الخليفة العباسي المعتصم بالله، الذي قاد أكبر جيش عرفته الخلافة العباسية، واتجه إلى أفضل مدينة بعد القسطنطينية وهي مدينة عمورية، وفعل بها مثلما فعل البيزنطيون بزِبَطْرَة، وقد أدرك الإمبراطور البيزنطي خطأه بعد فوات الأوان ، وحاول العمل بأكثر من اتجاه من أجل أن يحقق نصراً على المسلمين لكنه أخفق في ذلك، فاضطر إلى عقد صلح مع الخليفة المعتصم بالله، فضلاً عن أن تلك المعركة كانت المدى الأعظم الذي وصله الصراع الحربي العربي البيزنطي ، وبعدها بدأت الأحوال تتغير على تلك الجبهة.

المقدمة:

قبل الحديث عن فتح مدينة عمورية Amoriun ، لابد من الإشارة إلى الظروف التي ألمت بالخليفة المعتصم بالله ، قبل توليه الخلافة ، فقد كان اليد اليمنى لأخيه الخليفة عبد الله المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ/٨١٣- ٨٣٣م) ، في حملاته المستمرة على الحدود البيزنطية ، وكان شاهد عيان للإجراءات التي قام بها الخليفة على حدود الإمبراطورية البيزنطية ، إذ قضى ثلاث سنوات معه ، وكان على علم تام بخطة الخليفة القاضية بإسكان وتوطين العرب في المناطق المفتوحة ، حتى تطمئن الخلافة العباسية ، على خطوط مواصلات جيشها أثناء قيامه برد الغارات البيزنطية المستمرة ، وحتى لا يباغت الجيش الإسلامي من الخلف ، بأية حركة قد يقوم بها سكان المنطقة غير المسلمين ، أو القيام بتحالفات بين الإمبراطورية البيزنطية وبطارقة أرمينية وبابك الخرمي ، وشارك المعتصم بالله في بناء حصن الطونة (طوانة Tyana) ، لكي يُتخذ قاعدة انطلاق متقدمة صوب الإمبراطورية البيزنطية [(١)] .

إلا أن الظروف تغيرت في عام ٢١٧هـ/٨٣٢- ٨٣٣م ، إذ توفي الخليفة عبد الله المأمون على حدود الإمبراطورية البيزنطية ، ودفن في طرسوس [(٢)] ، وأوصى

---

(١) الطونة أو طوانه : بضم أوله وبعد الألف نون ، بلدة بثغور المصيصة ، فتحت سنة ٨٨هـ/٧٠٧م ، بعد حصار دام تسعة أشهر ، وتقع قرب المصيصة في الجهة الثانية من الأبواب القيليقية.ياقوت ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي [ت٦٢٨هـ/١٢٣٠م] : معجم البلدان ، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، ٤/٤٥ ؛ماجد ، عبد المنعم : التاريخ السياسي للدولة العربية .، مطبعة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط١٩٧٤ ، ٤م ، ٢/١٩٤.

(٢) طَرَسُوس : مدينة أحدثها سليمان خادم الخليفة هارون الرشيد ، في سنة نيف وتسعين ومائة ، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم وهي عاصمة الثغور الشامية ، وما زالت موطناً للصالحين

الخليفة عبد الله المأمون أخاه المعتصم بالله قبل وفاته ، بهدم ما يمكن هدمه من حصن الطونة وحمل ما يمكن حمله وحرق ما لا يمكن حمله ، حتى لاتستفيد منه الإمبراطورية البيزنطية في المستقبل ثم العودة بسرعة إلى بغداد [١].

في هذه الاثناء كانت الخلافة العباسية منشغلة بالقضاء على حركة بابك الخرمي ، فاستغلت الإمبراطورية البيزنطية الوضع لصالحها وهاجمت منطقة الثغور ، وكان بابك الخرمي قد ظهر في المنطقة المحصورة بين أذربيجان وأرمينية في سنة ٢٠١هـ/٨١٦م [٢] ، واستمرت حركته إلى سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦م ، وانضم إلى حركته كل العناصر الفارسية من المجوس وغيرهم ، وقد دعا بابك الناس إلى الديانة المزدكية (الخرمية) التي تحلل المحرمات ، وأخذت حركته تتوسع وتنتشر ولاسيما بعد تلقيه الدعم من الإمبراطورية البيزنطية ، وشكلت هذه الحركة خطراً على الخلافة العباسية ، وقتلت كثيراً من المسلمين ومثلت بهم في المناطق التي وقعت تحت سيطرتها [٣] .فوجهت الخلافة العباسية لها الجيوش تلو الجيوش ، وحاول الخليفة العباسي المعتصم بالله ، اتباع أسلوب اللين والترغيب ، من أجل

والزهاد يقصدونها من كل ناحية ، لأنها من ثغور المسلمين ، وتعد أيضاً مركز تجميع الجيش الإسلامي للانطلاق إلى عمق الأراضي البيزنطية ، فضلاً عن تواجد قوات الحاميات فيها. وعلى طرسوس سوران وخندق واسع ولها ستة أبواب ويشقها نهر البردان ، ياقوت: المصدر السابق ، ٢٨/٤.

(١) الطبري ، محمد بن جرير [ت ٣١٠هـ/٩٢٢م]: تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة ١٩٦١م/١٣٨١هـ ٦٣/٨ ؛ ابن الأثير ، عز الدين علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الشيباني [ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م]: الكامل في التاريخ دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٥م/١٣٨٥هـ ، ٤٣٩/٦- ٤٤١.

(٢) الطبري : المصدر السابق ١٤٤/٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٣٢٨/٦.

(٣) البغدادي ، عبد القادر بن طاهر بن محمد [ت ٤٢٩ هـ/١٠٣٧م]: الفرق بين الفرق ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط ١٣٩٣ ، ١هـ/١٩٧٣م. ص ٢٥١.

فـض الاتبـاع عـن بابـك الخرمـي وحركتـه، لأن طـول فـترة الحـرب يجلـب الملـل والضجر، وقد عين الخليفة المعتصم بـالله ، الإفـشين حيـدر بـن كـاوس [١] قائـداً للجيش العباسي المتوجه لحرب بابـك، وأمـده بالجنـد والأمـوال، وجـرت معـارك عديدة بين الجيش العباسي وجيش بابـك ،انتهـت باسـتيلاء الإفـشين علـى مدينـة البدّ [٢] ،وهي مدينة محصنة جداً، وبذلك سقطت الحركة وأحرقت مدينة البدّ، ثم هرب بابك الخرمي إلى قـرى أرمينية،فارسـل الإفـشين إلى بطارقـة أرمينيـة يعلمهـم بنية بابك، وهو التوجه إلى أراضي الإمبراطوريةالبيزنطية ، فقبـضوا عليـه وسـلموه للإفـشين، الـذي أرسـله بـدوره إلى الخليفـة المعتـصم بـالله، حيـث أمـر باعدامـه في سامراء [٣] .

وقد تبين للخلافة العباسية أن بابك الخرمي قد كاتب الإمبراطور البيزنطي تيوفيل بن ميخائيل [٤] من أجل أن يفتح على الخلافة العباسية جبهة جديدة، لتخفيف الضغط عليه ،لكي يستجمع قواه ويهاجم الدولة العباسية، لكن إصرار

---

(١) الإفشين ، هو حيدر بن كاوس ولقبه الإفشين من قادة الجيش التركي في عهد الخليفة المعتصم بالله، واصله من مدينة اشروسنة، بلغ مكانة متميزة وخاصة في حربه لبابك الخرمي وفي حملة عمورية، قتله المعتصم بالله بعد أن تبين له أنه يتآمر ضد الخلافة العباسية .الطبري: المصدر السابق ٩/٥٢- ١٠٤، ٥٥- ١١٤.

(٢)البدّ: بلد في جبال البدّ من أرض اللان ، وهي بلاد بابك وبه يعرف هذا الموضع.الطبري: المصدر السابق ٩/٤٤، ٣١.

(٣) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود [ت٢٨٢هـ/٨٩٥ م]: الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة ط١٩٦٠، ١م. ص ٤٠٢- ٤٠٥ ؛ابن الأثير: المصدر السابق ٦/٤٦١- ٤٧٥ ؛السامرائي، خليل إبراهيم صالح وآخرون: تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، مطبعة دار الكتب الموصل ط١٩٨٨، ١م ص ٤٢- ٤٣.

(٤) فاسيليف: العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادي أبو شعيرة، مراجعة د. فؤاد حسنين علي، دار الفكر العربي (د.ت) ص ٢١- ٢٣.

الإفشين وإلقاء القبض على بابك فوت الفرصة عليه [١] .كما شكل انتقال عاصمة الخلافة العباسية من بغداد إلى سامراء سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م وإطلاق تسمية العسكر عليها [٢] ، واستحداث أعداد كبيرة من الفرق العسكرية التركية وضمها إلى فرق الجيش العباسي، وقيام الخليفة المعتصم بالله، بالإشراف على تدريب هذه القطاعات العسكرية الجديدة التي دخلت صفوف الجيش العباسي، هذا كله يدل على أنه كان يعد العدة للقيام بعمل عسكري كبير جداً على الجبهة البيزنطية، وكان ينتظر الفرصة المواتية له ،وهو قيام الإمبراطورية البيزنطية بتحرشات جديدة ضد الخلافة العباسية، ولابد أن اخبار الإعداد لحملات ضد الخلافة العباسية قد وصلته، فأعد جيشه لمثل هذه المهمة، حتى يلقن الإمبراطورية البيزنطية درساً لن تنساه أبداً، عبر تاريخ الصراع الطويل مع المسلمين في العصرين الأموي والعباسي [٣] .

وقد حدث بالفعل ما كان يتوقعه الخليفة المعتصم بالله، وهو قيام الإمبراطور البيزنطي تيوفيل بن ميخائيل بحملة عسكرية، بعد أن اعتقد أن الحرب مع بابك الخرمي قد انهكت الجيش العباسي، وأن ميزانية الخلافة العباسية واقتصادها قد أُنهكا أيضاً، وعليه استغلال هذه الفرصة الذهبية، فقام بحملة عسكرية على الثغور، وقد جاء البريد إلى الخليفة في سامراء بأخبار تلك الحملة [٤] كما استهدف أيضاً عدداً من مدن العواصم ، وقام بقتل الأسرى والتمثيل ببعضهم في

---

(١) مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق دي خويه ، بريل ١٨٧١م، ٣٩٠/٣.

(٢) العسكر: سميت سامراء ايضاً بالعسكر، ابن الأثير : المصدر السابق٤٥١/٦ ؛ياقوت: المصدر السابق ٣٩٠/٣، ١٧٣/٣ - ١٧٨،٤/١٢٣.

(٣) الطبري: المصدر السابق ٥٥/٩ - ٥٦.

(٤) ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد [ت٥٨٠هـ/١١٨٤م] الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق د.قاسم السامرائي ، ليدن ١٩٧٣م، ص١٠٦، ١٠٥.

زِبَطْـرَة Dozopetra [1] وحاصـر شمـشاط Arsamosata [2] ففـي سـنة ٢٢٣هـ/٨٣٨ " خرج تيوفيل ملك الروم في عساكره، ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الأمم، حتى نزل على مدينة زِبَطْرَة من الثغر الجزري، فافتتحها بالسيف وقتل الصغير والكبير وسبى وأغار على مدينة ملطية، فضج الناس في الامصار، واستغاثوا في المساجد والديار، فدخل إبراهيم ابن المهدي على الخليفة المعتصم بالله، فأنشده قائماً قصيدةً طويلةً يذكر فيها ما نزل بمن وصفنا ويحضه على الانتصار فمنها:

ياغـارة الله قـد عاينـت فـانتهكي   هتـك النـساء ومـا مـنهن يرتكـب
هـب الرجـال علـى إجرامهـا قتلـت   ما بـال اطفـال بالـذبح تنتهـب " [3]

وقد بلغ تعداد الجيش البيزنطي مائة ألف مقاتل " سبعين ألف من البيزنطيين، وثلاثين ألف من الخرمية والبرغر –البلغار- والسلاف " [4]، ثم استولى على

---

(١) زِبَطْرة: بكسر الزاي وفتح ثانيه وسكون الطاء المهملة وراء مهملة، مدينة بين ملطية وسميساط والحدث في اطراف بلاد الروم.ياقوت: المصدر السابق٣/١٣٠؛ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل [ت٧٧٣ هـ /١٣٣٢م]: المختصر في أخبار البشر؛ (د.ت) ٣/٤٤؛ الدباغ، لطفي حمدي و حازم حسن العلي: معركة عمورية"ندوة الفكر العسكري العربي"بغداد ١٩٨٦م، ص٣٠- ٣١؛ فاسيليف: المرجع السابق ص١٢٤.

(٢) شمشاط: بلدة في الثغور الجزرية تبعد عن آمد سبعة فراسخ. اليعقوبي، أحمد بن يعقوب [ت٢٨٢ هـ/٨٦٥ م]: تاريخ اليعقوبي، المطبعة الحيدرية النجف الأشرف ط٤، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ٢/ ٤٧٥؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر [ت٢٧٩ هـ/٨٩٢ م]فتوح البلدان مطبعة لجنة البيان بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ١/ ٢٢٨؛ ياقوت: المصدر السابق ٣/٣٦٢؛ ابو الفدا: المصدر السابق ٣/٤٤.

(٣) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين[ت٣٤٦هـ/٩٥٦م]: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس بيروت، (د. ت)، ٣/٤٧٢.

(٤) الخرمية: هم أتباع بابك الخرمي ويسميهم الطبري المحمرة، الطبري: المصدر السابق ٩/٣١- ٥١.

البرغر: لم أعثر لهذه المفردة على أي تعريف، وأرجح أنهم البلغار، لأنهم كانوا يجاورون الإمبراطورية البيزنطية، ويجمعهم معها المذهب الأرثودوكسي.

السلاف: هـم سكان مناطق وسط أوربا أو مـايعرف الآن بالبلقـان وهـم الـصرب، ويوغوسلافيا تعني السلاف الجنوبيين.

زِبَطْرَة وشمشاط وأحرقهما [١] .

كان لهذا الفعل وطأته الشديدة على الخليفة المعتصم بالله، الذي سارع إلى الرد عليه، فغادر سامراء، وعسكر على الضفة الغربية لنهر دجلة، قبالة الجسر، في منطقة العيون [٢]، في جمادى الأولى ٢٢٣هـ/نيسان ٨٣٨م، وأعلن النفير العام تحسباً لأي طارىء، معلناً الجهاد ضد البيزنطيين وصاح : النفير ...النفير [٣] .

ويتناول هذا البحث ، إن شاء الله، خطة الحرب التي قام بها الخليفة المعتصم بالله بإعدادها، والإجراءات العسكرية التي اتبعها في الهجوم على أهم وأخطر مدينة بيزنطية في بلاد الأناضول، مؤكداً على أهمية هذا الفتح، وأثره في العلاقات مع الإمبراطورية البيزنطية حتى نهاية العصر العباسي الأول١٣٢- ٢٤٧هـ /٧٥٠ - ٨٦١م، ومحملاً الإمبراطور البيزنطي مسؤولية إشعال الحرب بين الجانبين.

عَمّورية: Ammuriya بفتح أوله وتشديد ثانيه ، مدينة كبيرة من بلاد الروم، ولفظ عمورية هو اللفظ العربي لمدينة Amoriun ، من أرض فروجية والتي تقع بالقرب من بحيرة الباسليون [٤] .وهي مدينة مسورة لها سور حصين له

---

(١) الطبري : المصدر السابق٩/٥٦ ؛الأزدي، أبو زكرياء يزيد بن محمد بن إياس [ت ٣٣٤هـ/٩٤٦م]: تاريخ الموصل تحقيق د. علي حبيبة ، القاهرة ١٩٦٧م، ٢/٤٢٦، ٤٢٤.

(٢) العيون: وتقع في غرب نهر دجلة، اليعقوبي: المصدرالسابق ٢/٤٧٥.

(٣) اليعقوبي: المصدر السابق ٢/٤٧٥ ؛الطبري: المصدر السابق ٩/٥٦.

(٤) ياقوت: المصدر السابق ٤/١٥٨ ؛ماجد ، عبد المنعم: العصر العباسي الأول ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٣، ص٤٢٠ ؛

Belke ,Klaus:Galaten und Lykaonien,Tabula Imperi Byzantini,Wien,1984,Band 4.pp , 122-125.

حيث تكلم عن موقع مدينة عمورية

لسترانج، كي : بلدان الخلافة الشرقية ص١٢٦ ؛ ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله [ت٣٠٠ هـ/٩١٢م]المسالك والممالك، مطبعة المثنى بغداد(د.ت) ص١١٣.

أربعة وأربعون برجاً، وتشكل مدينة عمورية نقطة انطلاق إلى جميع بلاد الروم، فتلتقي الطرق فيها ومنها تتفرع أيضاً، وتبعد عن خليج القسطنطينية بـ مائة وخمسين ميلاً ، وكانت منزلاً لبعض ملوك الروم [١] .وهي مسقط رأس الإمبراطور البيزنطي تيوفيل بن ميخائيل، ومن هنا جاءت أهميتها السياسية.وتقع عمورية قرب قرية حاجي، ما زال الموقع حتى اليوم يسمى (حاجي عمر أوفا)، وكانت عمورية إحدى الولايات الرومانية الآسيوية، وقد أطلق عليها في إحدى الفترات التاريخية فيبسانيا Vipania ، وخلال القرن الرابع للميلاد، كانت عمورية جزءاً مهماً من إقليم فريجيا Phrygia ، وخلال المدة من ٣٨٦-٣٩٥م، أصبحت ضمن إقليم جلاتيا، ونظراً لأهمية المدينة فقد حصنها الإمبراطور زينو Zeno (٤٧٤- ٤٩١م)، ولم تشتهر المدينة إلا من خلال الحرب مع المسلمين، وقد حصنها الإمبراطور ليو الآيسوري، والذي عمل على اتخاذها مقراً له [٢] . وقد حدد ابن خرداذبة الطريق من الثغور إلى عمورية عبر ممر درب السلامة. [٣]

وتقع عمورية على الطريق العسكري والتجاري الرئيس المنطلق من القسطنطينية إلى إقليم سيليكيا Cilicia ويمكن تحديد موقعها الجغرافي، بأنها تقع

---

(١) الحميري، محمد بن عبد المنعم :[ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م]: الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق د.إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٤١٣ ؛العبادي ، أحمد مختار: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية ،بيروت، ١٩٧١م، ص١١٩ ؛العريني، السيد الباز: الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٥م ص ٢٨١.

(٢) Ramsay.W.M:The Historical Geography of Asia Minor . Amesterdam , Adolf,M.Hakkert,Publisher,1962,pp,230-231.

(٣) درب السلامة: أحد الدروب المؤدية إلى الإمبراطورية البيزنطية ، قدامة : المصدر السابق ص٣٢٠.

جنوب شرق دوريليام(دروليه، دروليون=آسكي شهر الحالية) Dorylaeum[1] وتقع إلى الجنوب الغربي من مدينة أنقرة، إذ تبعد عنها سبعة مراحل[2] كما تقع أيضاً جنوب سانجاريوس(صاغر، سغرس Sakarya or Sangarious) وظل موقع مدينة عمورية غير معروف إلى وقت طويل ، حتى اكتشفها الرحالة الإنكليزي هاملتون، في مكان يقع إلى الشرق من مدينة أميرداج (العزيزية حالياً Azizyye)، إذ تبعد مسافة سبعة كيلومترات ونصف عن قرية حمزة هاسلي (حاجي) Hamza Hacili[3] ،وتقع عمورية على نهر ساغر أو صاغر[4] .

أما عن جغرافيتها، فتقع في الأجزاء الغربية من هضبة الأناضول، وتقع في منطقة زراعية خصبة، إذ تحيطها العديد من القرى الزراعية، ونظراً لخصوبة الارض وتوفر المياه، فقد كانت مدينة عمورية تشكل مركزاً زراعياً وتجارياً وصناعياً في تلك الايام، وكان عدد سكانها كبير جداً بحيث أدهش عددهم الخليفة المعتصم بالله[5] .

ونتيجة لهذه الأهمية العسكرية والاقتصادية لمدينة عمورية، فقد تم تسوير المدينة ،وجدد السور ورمم عدة مرات، وهذا يفسر لنا صعوبة فتح هذه المدينة،

---

(١) درولية: بفتح أوله وثانيه، وسكون الواو وكسر اللام وتشدد ياؤه وتخفف، مدينة في أرض الروم، ياقوت: المصدر السابق ٤٥٣/٢ ؛ وتقع على الطريق المؤدي مباشرة إلى القسطنطينية، ماجد : العصر العباسي ص١٧٥.

Ramsy;op.cit p,78.; Theophanes, Chronographia .ed,de .Boor, (Lepzik,1982,vol,1,p,463.

(٢) الطبري: المصدر السابق ٦٣/٩.

(٣) Encyclopedia of Islam , 2ed Leyden,vol,1,p449.

(٤) صاغرة: وهي بلد في بلاد الروم، ياقوت: المصدر السابق ٣٨٩/٣.ويبدو أن هذا النهر كان يمر بمدينة صاغرة فسميت به أو سمي بها.

(٥) ابن العبري، أبو الفرج جمال الدين: تاريخ الزمان، نقله إلى العربية الأب إسحاق أرملة، دار المشرق بيروت، ١٩٩١م، ص٣٣.

حيث ظلت لفترات طويلة عصية على العرب، وكان يحيطها أيضاً خندق عميق مملوء بالماء، استطاع الخليفة المعتصم بالله من ردم قسم منه ، كممرات، حيث أمر بملء جلود الغنم والبقر والجاموس والجمال بالتراب، وعمل ممرات صوب السور للعمل على نقبه بواسطة الفعلة الذين كانوا يحتمون بالدبابات التي تسير على عجلات، وتتسع كل دبابة لعشرة أشخاص يعملون في داخلها بحرية تامة بالمعاول لإحداث فجوات داخل جدار السور ثم ملأها بالبارود والنفط وإشعالها بالنار فتحدث فجوة في جدار السور وهكذا، وتحمي هذه الدبابات الفعلة بداخلها من التعرض للنار التي تلقى عليهم من الأسوار وكذلك الزيت المغلي ، لأنها مغلفة بمادة تمنع الاحتراق، كما وضعت السلالم الطويلة للصعود على السور، ومقاتلة المقاتلين البيزنطيين في الأبراج وعلى الأسوار .(١) .

أما عن أوضاعها زمن الدراسة فقد كانت أهم مدينة في بلاد الأناضول، حتى إنها تفضل على أنقرة (٢) ،وقد حشد فيها الإمبراطور البيزنطي قوة عسكرية ضخمة ، فضلاً عن القوات الموجودة فيها وفضلاً عن سكانها، وقد طرحت على الإمبراطور البيزنطي آراء متعددة من بينها إخلاء مدينة عمورية كلياً ، إلا أن الإمبراطور البيزنطي رفض هذه الفكرة ، وأصر على موقفه وهو اتباع خطة الدفاع عن المدينة، اعتقاداً منه بقوتها ومناعة أسوارها.

تعرضت مدينة عمورية لهجمات عديدة نتيجة لموقعها المهم المؤدي إلى القسطنطينية، فقد وصل إلى أطرافها الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان

(١) الطبري : المصدر السابق ٥٧/٩- ٧٠؛ابن الأثير: المصدر السابق٦/٤٨٠- ٤٨٨.

(٢) أنقرة: بالفتح ثم السكون وكسر القاف وراء وهاء ،وهو فيما بلغني اسم للمدينة المسماة انكورية،ياقوت: المصدر السابق ٢٧١/١- ٢٧٢.وهي الآن عاصمة الجمهوريةالتركية.

(٤١- ٦٠هـ/٦٦١- ٦٨٠م) ، ثم سيطر عليها يزيد بن معاوية ، في أثناء حملته على القسطنطينية عام ٤٩هـ/٦٦٩م [١] .لكن القائد البيزنطي أندرياس Andreas تمكن من استعادتها من يد العرب ، كما دَحَرَ القائد الأموي مسلمة ابن عبد الملك سنة ٨٨هـ/٧٠٧م جيشاً بيزنطياً على أطراف مدينة عمورية [٢] .

وفي عام ٩٨هـ/٧١٦م ، وفي أثناء توجه الجيش الإسلامي بقيادة مسلمة بن عبد الملك لحصار القسطنطينية ، تمكن أحد قادته من حصار عمورية ، إلا أنها صمدت له ولم يستطع فتحها [٣]. كما صمدت مدينة عمورية أيضاً للحملات العسكرية في العصر العباسي ، إذ لم يستطع الحسن بن قحطبة [٤] من فتحها سنة ١٦٢هـ/٧٧٩م ، خلال حكم الخليفة محمد المهدي (١٥٨- ١٦٩هـ/٧٧٤- ٧٨٥م). ولم يتمكن الجيش العباسي من فتحها في خلافة هارون الرشيد(١٧٠- ١٩٣هـ/٧٨٦- ٨٠٨م)، حتى سقطت بيد الخليفة المعتصم بالله عام ٢٢٣هـ/٨٣٨م ، وظلت المدينة مهملة ، حتى أعاد بناءها البيزنطيون في مطلع القرن الرابع عام ٣١٤هـ/٩٢٧م ، لكن أمير طرسوس ، وهو القائد العربي ثمالة ، استطاع

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق ٤٥٨/٣- ٤٥٩ ؛قدامة :المصدر السابق ص٣٠٧.ماجد :التاريخ السياسي ،١٩٤/٢.؛.EI/vol,1,p449.

(٢) ابن الأثير: المصدر السابق ٥٣٥/٤ ؛ ماجد:تاريخ الدولة العربية ٢٤٤/٢- ٢٤٩ ؛ EI/vol ,1,p ,449.

(٣) ابن الأثير: المصدر السابق ٢٧/٥- ٢٨ ؛ ماجد: تاريخ الدولة العربية ٢٤٤/٢- ٢٤٩..EI/vol,1p,449.

(٤) الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائي أحد قادة الجيش العباسي ،تولى حصار مدينة واسط ،وقاد الجيش العباسي في منطقة الجزيرة والثغور، خليفة :المصدر السابق ٤٦٨/٢ ؛اليعقوبي: المصدر السابق ٣٩٦/٢ ؛ابن الأثير:المصدر السابق١٥٨/٦ ،٥٨- ١٥٩ ؛ ماجد:العصر العباسي ص١٧٥.

من تدميرها مرة ثانية عام ٣١٩هـ/٩٣١م، وتركت على وضعها حتى الوقت الحاضر [(١)] .

فتح عمورية :

بعد وصول أنباء التجاوزات البيزنطية إلى مسامع الخلافة العباسية، وما فعله تيوفيل ابن ميخائيل بِزِبَطْرَة وملطية، حيث قتل أهلها وسبى بعضهم ومثل بهم [(٢)] . اتخذ الخليفة المعتصم بالله إجراء سريعاً ، وهو إرسال قوات عسكرية سريعة لنجدة أهل الثغور بوصفها طلائع للنفير، وذلك لإعادة ترتيبات زبطرة، وليس للاصطدام مع القوات البيزنطية ، ومنهم عجيف بن عنبسة [(٣)] وعمر الفرغاني [(٤)] وجماعة من أمثالهما من القادة إلى زِبَطْرَة لإعانة أهلها، فساروا إلى بلاد الروم ، وقد انصرف ملك الروم بالسبي [(٥)] . ويبدو أن هذه القوات العسكرية التي أرسلها الخليفة المعتصم بالله، كانت من فرق الخيالة السريعة الحركة، لأن الخلافة العباسية كانت تلجأ إلى نجدة المناطق المنكوبة، أو التي تتعرض إلى حركات عسكرية، بفرق

(١)ابن الأثير: المصدر السابق ١٥٨/٦، ١٥٨- ١٥٩ ؛..EI/vol,1,p,449

(٢)ابن العبري: المصدر السابق ص ٢٩- ٣١.

(٣)عجيف بن عنبسة: من عرب خراسان ، لعب دوراً في إخماد ثورة الزط في جنوب العراق، وقاد قلب الجيش العباسي في حملة عمورية، قتله الخليفة المعتصم بالله لاشتراكه في محاولة اغتيال الخليفة.ودفن في باعيناثا على مرحلة من نصيبين.اليعقوبي: المصدر السابق ٤٧٦/٢ ؛الطبري: المصدر السابق٨/٩- ١١.

(٤)عمر الفرغاني: أحد قادة الجيش العباسي في عهد الخليفة المعتصم بالله، توجه على رأس حملة عسكرية إعانة لأهل زبطرة، وفي حملة عمورية اشترك مع اشناس في قيادة مقدمة الجيش العباسي وكان له خبرة في أمور الاستخبارات (العيون)الطبري: المصدر السابق ٥٧/٩- ٥٨.

(٥)مجهول: العيون ٣٩٠/٣

الخيالة، وكان هذا الإجراء هو الإجراء العسكري السريع، ريثما تتكامل استعدادات الخلافة العباسية [١] .

وقد وقع اختيار الخليفة المعتصم بالله على مدينة عمورية، إذ سأل : أي بلاد الروم أمنع؟ فقيل له : عمورية، ولكونها مسقط رأس الإمبراطور البيزنطي ليو الآيسوري (تيوفيل ابن ميخائيل) حيث كان حاكماً عليها وقام بتحصينها [٢] .كما أن المدينة شكلت ثقلاً دينياً كبيراً أثناء الحركة الآيقونية [٣] ،

وكان فيها عدد كبير من الأديرة [٤]، وهي عين النصرانية وهي أشرف عندهم من القسطنطينية [٥] .

وقد تزامن وصول نبأ التحرشات البيزنطية بالحدود الإسلامية، اعتقال بابك الخرمي وأَسْرِهِ [٦] ، وقد تأخرت الحملة العسكرية عدة أشهر بسبب انشغال الجيش بحرب بابك، ولكون الشتاء على الأبواب، وبعد استكمال الاستحضارات العسكرية عبر الخليفة المعتصم بالله نهر دجلة وعسكر عند الجسر قبالة سامراء في منطقة العيون ، أي في منطقة الجزيرة ، كما مرّ بنا، " وعليه دراعة من الصوف بيضاء، وقد تعمم بعمامة الغزاة، وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى من سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ونصبت الأعلام على الجسر، ونودي بالنفير والسير مع أمير المؤمنين، فسارت العساكر والمتطوعة من

(١)السامرائي : تاريخ ص١١٢.

(٢)Ramsay:op.cit ,p230,231.

(٣)EI/vol,1,p,449.

(٤) ابن العبري : المصدر السابق ص ٣٣.

(٥) الطبري : المصدر السابق ٥٧/٩.

(٦) مجهول : العيون ٣٩٠/٣.

سائر الأمصار... فلم يكن يحصي الناس العدد ولايضبطون لكثرته، فمن مكثر ومقلل، فالمكثر يقول خمسمائة ألف، والمقلل يقول مائتي ألف" (١) .وقد رافقت الجيش العباسي فيالق المحاربين الذي يقدر عدده بما يقرب من خمسين ألف مقاتل، وصحبهم ثلاثون ألف تاجر ومكار ـ عامل ـ ومعهم خمسون ألف جمل وعشرون ألف بغل ماعدا خيل الخليفة (٢)، وقد خرج مع الحملة أهل الثغور كلهم، إلا من لم يكن عنده سلاح، لاسيما وقد ندب الخليفة الناس للخروج معه ،ووضع العطاء لهذا الغرض (٣) . وأمر الخليفة أن تنقش كلمة عمورية على الألوية والتروس والدروع (٤) .

وأحضر الخليفة المعتصم بالله القضاة والشهود وأهل العدالة وأشهدهم بأنه قد قسم أملاكه على ثلاثة اقسام، قسم لله وقسم لمواليه وقسم لعياله وولده (٥) ، وبعد أن تكاملت فرق الجيش وتم ترتيبها، قرر الخليفة المعتصم بالله المسير من سامراء سالكاً طريق الجزيرة، فغادرها في أول مايو من عام٨٣٨م/٢٢٣هـ، على رأس قوات كبيرة لم تجتمع لخليفة من قبل مثلها ولا مثل سلاحها ومؤونتها ومساقيها المستقلة وبغالها ودوابها وقربها المختلفة الأحجام والآلات الحديدية

(١) الأزدي: المصدر السابق ٤٢٤/٢ ؛المسعودي : المصدر السابق ٤٧٢/٣- ٤٧٣ ؛ أبو الفدا: المصدر السابق٤٥/٢.

(٢) مجهول: تاريخ الرهاوي، ترجمة الأب ألبير أبونا، مطبعة شفيق بغداد ١٩٨٦م ص ٤٨.

(٣) اليعقوبي: المصدر السابق ٤٧٥/٢ ؛الطبري: المصدر السابق ٥٦/٩ ؛ المسعودي: المصدر السابق ٤٧٢/٣.

(٤) فاسيليف: المرجع السابق ص١٣١.

(٥) ابن طباطبا، محمد بن علي [ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م]: الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م ،ص٢٢٩- ٢٣٠ ؛ ابن الأثير: المصدر السابق ٤٨٠/٦.

والنفط [1] .فيما أشار صاحب كتاب العيون والحدائق عن جهاز الخليفة المعتصم بالله إذ قال : فتجهز : جهازاً لم يتجهز مثله خليفة قط ، من السلاح والعُدد والعَدد والآلات ، وحياض الأَدَمْ والروايا والقرب والبغال والدروع والجواشن والزرديات وآلة النار والنفط" [2] وحتى النفاطين جهزوا بملابس لاتحترق بالنار [3] ، كما أمر الخليفة المعتصم بالله بصنع دبابات ضخمة كبار ، وجعلها على كراسي تحتها عجل ليسهل تحركها، أما المقاذيف فقد خصص لكل مقذاف "منجنيق" أربعة رجال لإدارته فقط ، كما أمر أيضاً بصنع دبابات محكمة، تسع كل دبابة لعشرة رجال، وغلفت هذه الدبابات بالجلود وبمادة تمنع احتراقها، أو تسرب الزيت المغلي على الفعلة الذين بداخلها [4] .

بعد تحرك الخليفة المعتصم بالله من سامراء متجهاً إلى حدود الإمبراطورية البيزنطية ، علم الإمبراطور البيزنطي تيوفيل بن ميخائيل بهذا التحرك، فحشد قواته والقوات المساندة له، وغادر القسطنطينية، ووقف عند درولية - آسكي شهر الحالية- أو نيقية [5] ، على مسيرة ثلاثة أيام من عمورية، وبالرغم من نصيحة عدد من مستشاريه وقادته بإخلاء مدينة عمورية، فإنه لم يلتفت اليهم

(١) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٣١.

(٢) مجهول: العيون ٣/٣٩٠- ٣٩١.

(٣) العبيدي، صلاح حسين : الملابس والأزياء العسكرية في العصور الإسلامية، موسوعة الجيش والسلاح بغداد ١٩٨٨م ،٢٢٢/٣ ؛عبيد، طه خضر: النفير العربي الإسلامي إلى جبهة الثغور البرية مع الدولة البيزنطية(١٣٢- ٣٦١هـ/٧٥٠- ٩٧١م)مجلة المؤرخ العربي العدد٥٨ ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، ص ١٧٣.

(٤) ماجد، عبد المنعم: العصر العباسي الاول ،مكتبة الأنجلوالمصرية، ١٩٧٣، ص٤٢٣- ٤٢٤.

(٥) نيقية: بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر القاف وياء خفيفة ،من أعمال اصطنبول على البر الشرقي.ياقوت: المصدر السابق ٣٣٣/٥.

والى نصائحهم، بل أكد على ضرورة تحصين مدينة عمورية، وعهد بحمايتها إلى قائده إيتوس ياطس Aetius، كما أعد الإمبراطور البيزنطي تيوفيل بن ميخائيل، خطة لمهاجمة الجيش العباسي، في أثناء مسيره باتجاه الشمال، لكنه لم يعلم بتحرك الإفشين، ودخوله من درب آخر، ولم يكن في حسابات الإمبراطور البيزنطي هذا التحرك (١).

وكان الخليفة المعتصم بالله قبل دخوله أراضي الإمبراطورية البيزنطية، قد سمى قسماً من جيشه، وعهد بقيادته إلى الإفشين، وأمره بأن يأخذ طريق سروج Batnae (٢)، والدخول من درب الحدث، وهذا هو التقسيم الأول للجيش العباسي (٣). ثم توجه الجيش العباسي بقيادة الخليفة المعتصم بالله إلى طرسوس ونزل على مسيرة يومين منها على نهر الهيلس Haylys (الذي يسميه الطبري خطأً بنهر اللامس) (٤)، الذي كانت تفادى عنده الأسرى، وقد تكاملت بقية فرق الجيش العباسي، والتحق بالجيش العباسي أهل الثغور، وكل قادر على حمل السلاح، فتم تنظيم الفرق العسكرية وتعبئتها وتهيئتها للقتال مع الأخذ بنظر الاعتبار، توفير التجهيزات العسكرية والأسلحة والطعام والعلف والماء، وأعداد وسائط النقل، وبعد استكمال الاستعدادات كافة، قسم الجيش على ميمنة

---

(١) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٣٢؛

Bury:The History of Byzantian Empire,p 263.

(٢) سروج: بفتح أوله وضم الراء والجيم بلدة قريبة من حران من ديار مضر تبعد عن سميساط ثلاثة عشر فرسخاً، ياقوت: المصدر السابق ٢١٦/٣؛ مجهول: تاريخ الرهاوي ص٤٨.

(٣) الطبري: المصدر السابق ٥٧/٩؛ ابو الفدا: المصدر السابق ٤٤/٢- ٤٥. الحدث: فتحت في عهد معاوية ابن أبي سفيان، واتخذوها قاعدة لانطلاقهم إلى بلاد الروم، ماجد: العصر العباسي ص ١٧٤- ١٧٥.

(٤) فاسيليف: المرجع السابق ص٣٦٠.

وميسرة وقلب ومقدمة وساقة، وتم تعيين اشناس [١] على المقدمة، ويتبعه محمد ابن إبراهيم [٢] وعلى الميمنة ايتاخ التـركي [٣] ،وعلى الميسرة جعفر بن دينار الخياط [٤] وعلى الساقة بغا الكبير [٥] ويتلوه عبدالله بن دينار [٦]، وعلى القلب عجيف بن عنبسة ،ودخلت هذه القطع العسكرية كلها من درب السلامة ، أما بقية الجيوش الأخرى والمتطوعة فقد دخلت من الدروب الأخرى، لعدم كفاية الطرق لذلك [٧]، وحدد الخليفة المعتصم بالله لهم كل شيء من خطة المسير والالتقاء والتوقف حتى يلتقوا بأنقرة [٨] .

(١) اشناس: غلام تركي اشتراه المعتصم بالله ورقاه لما ظهر منه من شجاعة وبسالة، وأصبح من كبار قادة الجيش العباسي توفى سنة٢٢٧هـ، وصيرت مرتبته وأكثر أعماله إلى ايتاخ.اليعقوبي: المصدر السابق ٤٨٠/٢.

(٢) محمد بن إبراهيم: لم أعثر له على ترجمة.

(٣)ايتاخ: غلام خزري اشتراه المعتصم بالله سنة ١٩٩هـ٨١٤م من سلام الأبرش ، وكان طباخ الخليفة ،رقاه المعتصم بالله، تولى اليمن سنة٢٢٥هـ/٨٣٩م، وأخمد ثورة الأكراد سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م، قتله الخليفة المتوكل على الله بعد رجوعه من الحج.اليعقوبي: المصدر السابق٤٨٥/٢ ؛الطبري: المصدر السابق ١٦٨/٩.مجهول: العيون ٣٩٠/٣.

(٤) جعفر بن دينار: كان خياط الخليفة ، ثم أصبح من قواد الخليفة المعتصم بالله ،اشترك في حروب الإفشين ضد بابك الخرمي، وكذلك اشترك في حملة عمورية.مجهول: العيون ٣٩٠/٣.

(٥) بغا الكبير: من كبار القادة الأتراك في الجيش العباسي، حارب بابك الخرمي واشترك في حملة عمورية، توفي سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م. اليعقوبي: المصدر السابق ٤٨٩/٢ ؛الطبري: المصدر السابق ١٤٦/٩، ١٤٠- ٢٥٨، ١٥٠،أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، دار المسيرة بيروت ط١٣٩٩، ٢هـ/١٩٨٩م، ٤٨/٢.

(٦)عبدالله بن دينار : لم أعثر له على ترجمة.

(٧) المسعودي: المصدر السابق ٤٧٢/٣.

(٨) مجهول: العيون ٣٩١/٣ ؛أنقرة Ankyra,Anqira,Ankuriya أنقرة ،أنكيرا،أنكوريا كلها أسماء لمدينة أنقرة.

وأود هنا أن أعلق على هذا النص" أما بقية الجبوش الأخرى والمتطوعة ، فقد دخلت من الدروب الأخرى، لعدم كفاية الطرق لذلك" (١). يشير هذا النص إلى وجود جيوش أخرى، غير التي ذكرت، وقد سلكت الطرق الأخرى ،عدا درب السلامة ودرب الحدث اللذين دخل منهما جيش الخليفة وجيش الإفشين، ومن هذه الدروب درب طرسوس ودرب ملطية، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، لا يمكن أن تترك هذه الجيوش من دون قيادة ومن دون خطة في المسير والتموين والحماية في الليل والنهار، وهذا هو الشيء المهم، لأن قسماً من هذه الجيوش لم تشارك من قبل في الحرب مع الإمبراطورية البيزنطية، ولم يعرف قسماً منهم طبيعة الأرض البيزنطية، كل هذه الأمور قد نظمت، إذ لم نسمع عن تعرض هذه الجيوش لأي كمين أو مباغته أو هجوم، وهذا يعطينا صورة واضحة عن الاستعدادات العسكرية والخطة الموضوعة فضلاً عن مرافقة الأدلاء لهذه الجيوش الأخرى حتى لا تضل طريقها ،وصولاً إلى مدينة أنقرة، لاسيما "وأن أغلبهم من المشاة الذين قطعوا آلاف الاميال حتى وصلوا إلى أنقرة ثم إلى عمورية" (٢) .

وزيادة في الاحتياط أمر الخليفة المعتصم بالله القائد أشناس التركي بالمسير وعدم التعجل ، وأن يدخل من درب طرسوس وينتظر في الصفصاف (٣) ، وعندما بلغ الخليفة المعتصم بالله أن الإمبراطور البيزنطي في انتظار مقدمة الجيش العباسي للاشتباك معها وتدميرها، أرسل رسالةً مستعجلةً إلى أشناس يأمره فيها

---

(١) المسعودي: المصدر السابق ٤٧٢/٣.

(٢) الجنابي، خالد جاسم: تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني٢١٨- ٣٣٤هـ/٨٣٣- ٩٤٥م، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٩م ص ٣٦.

(٣) الصفصاف: بالفتح والسكون كورة من ثغور المصيصة Mopsuestia الطبري: المصدر السابق ٥٨/٩؛ ياقوت: المصدر السابق ٤١٣/٣.

بالتوقف، حتى يلتقوا بأنقرة ، وريثما تعبر بقية صنوف الجيش العباسي الدروب الأخرى ، خوفاً من مباغتة الجيش البيزنطي لأشناس في أثناء مسيره. لكن عندما علم الإمبراطور البيزنطي بتحرك الإفشين، غادر موقعه الذي كان فيه وهو قرب نهر الهليس أو آلس Haylas الذي يسميه الطبري نهر اللمس خطأً أو اللمس Lamos, Lames [1] ، ولحق بجيش الإفشين، إذ أراد الانفراد بالجيش العباسي الذي يقوده الإفشين [2] .وقد تم للإمبراطور البيزنطي ما أراد وهو ملاقاة جيش الإفشين، وعندما علم الخليفة المعتصم بالله بنية الإمبراطور البيزنطي، خاف على الإفشين وعلى الجيش العباسي الذي يقوده، فخصص جائزة مالية ضخمة وهيأ الركاضين لإيصال رسالة إلى الإفشين لتحذيره من هذا الأمر المستجد، لكن جهوده باءت بالفشل [3] حيث "ضاقت صدورهم لأجل الإفشين وأصحابه لأنهم لم يعرفوا عين الخبر" [4] . ولم يعلم الخليفة المعتصم بالله ماذا حل بالجيش العباسي المرافق للإفشين، إذ انقطعت عنه أخبارهم.

كما تعرضت مقدمة جيش الخليفة التي كان يقودها أشناس ، إلى ضائقة في أمور التموين، فتعرض الجيش العباسي إلى نقص شديد في الطعام والماء والعلف ، قبل الوصول إلى مدينة أنقرة، فقام أشناس بأسر عدد من الروم الذين كانوا في تلك النواحي، لمعرفة طبيعة المنطقة، وموارد الماء وأماكن التموين، ولاحظ أشناس أن قسماً من الأسرى كانوا جرحى فسألهم عن سبب تلك الجراح فقال

---

(١) فاسيليف : المرجع السابق ص ١٣٤.

(٢) خياط ، خليفة بن خياط [ت٢٤٠هـ/٨٥٤م] تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، النجف الأشرف ط١ ، ١٩٦٧م/١٣٨٧هـ ، ٥١٦/٢ ؛ مجهول : العيون ٣٩١/٣.

(٣) الطبري : المصدر السابق ٥٩/٩ ؛ مجهول : العيون ٣٩٢/٣ ؛ محمد الخضري بك : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ص ٢٤٥.

(٤) مجهول : العيون ٢٩٣/٣.

أحدهم: " كنت مع الملك فواقعنا الإفشين... فهزمناهم وقتلنا رجالهم كلهم، وتقطعت عسكرنا في طلبهم، فلما كان الظهر رجع فرسانهم فقاتلوا قتالاً شديداً، حتى أحاطوا بنا، فلم ندر أين الملك" [١] ، وقد جرت هذه المعركة قرب لورلة [٢] من ناحية الأرميناق [٣] ، وابتدأت المعركة " أول ساعات الصباح من يوم الخامس والعشرين من شهر شعبان/الثاني والعشرين من شهر حزيران، وهبت ريح النصر أول الأمر على الروم، فأوقعوا برجال العرب خسائر كبيرة، حتى هربوا، ولكن فرسان المسلمين حولوا الموقف، حتى وصلوا عند الظهر، فانهزم الروم وهربوا...وكان أكثر الروم لا يعلمون أين كان الإمبراطور، وافتقده بعضهم في المعسكر فلم يجدوه" [٤] .فرجع قسم منهم إلى القسطنطينية، أما الإمبراطور البيزنطي فقد لعبت الامطار في نجاته " وأحدر الله سبحانه حين ذاك وابلاً من الأمطار ، فانفصل تيوفيل مع ألفي رجل إلى جهة أخرى، وغلب على ظن سائر الروم أنه قد قتل، فانهزموا " [٥] .

وقد أبلغ القائد التركي أشناس الخليفة المعتصم بالله بخبر انتصار الإفشين على الإمبراطور البيزنطي ، فحمد الله على هذا النصر،كما دلّ الأسرى البيزنطيون الذين أسرهم اشناس ،على أماكن الطعام والعلف وموارد الماء ، وتدل الضائقة

---

(١) مجهول :العيون٣/٣٩١- ٣٩٢ ؛ابن الأثير: المصدر السابق ٤٨٢/٦.

(٢) لورلة: هي مدينة Iris وتقع اعلى Takatوتتبع Komanaفي إقليم دازمون .خليفة بن خياط: المصدر السابق٢/٢، ٥١٦/٤٨٧ ، .Ramsay;op.cit, p,326.

(٣) المسعودي : المصدر السابق٣/٤٧٣ ؛ابن الأثير : المصدر السابق ٤٨١/٦ ، أما قدامة بن جعفر فيسميها الناطوس(الشرق) وهو اكبر أعمال الروم وفيه عمورية :الخراج ص ١٨١.

(٤) فاسيليف : المرجع السابق ص ١٣٩- ١٤٠.

(٥) ابن العبري: المصدر السابق ص٣١.

التي تعرض لها جيش أشناس في التموين ، إلى عظم هذا الجيش وكثرة عدده بحيث نفذت لديهم الأقوات، على الرغم من استعدادهم للمعركة وأخذ كل الاحتياطات الممكنة.

وصلت انباء هزيمة الإمبراطور البيزنطي إلى مسامع الخليفة المعتصم بالله، بعد ثلاثة أيام من وصوله إلى مدينة أنقرة، كما أُخبر أيضاً بأن الإفشين قادم نحوه، وفعلاً وصل الإفشين بقواته إلى أنقرة التي كانت الجيش العباسي يحاصرها ، ولم تفلح محاولات الإمبراطور البيزنطي ،في نجدة الجيش البيزنطي الموجود في مدينة أنقرة، إذ وصلت التعزيزات البيزنطية إليها بعد فتحها واستسلام الحامية البيزنطية للجيش العباسي (١) .

وبعد تأمين خطوط امدادات الجيش العباسي، وتامين خطوطه الخلفية من أي هجوم، اتجهوا نحو الجنوب الغربي من أنقرة، حيث تقع مدينة عمورية والتي تبعد عن أنقرة مسيرة سبعة مراحل، وبالنظر لصعوبة الموقف إذ أن المدينة مسورة بشكل جيد جداً يضاهي القسطنطينية ،وفيها أربعة وأربعون برجاً (٢)، ولها خندق ويجري في وسطها نهر صاغر، وقد أعدت فيها الجيوش للحرب والحصار والمقاومة، إذ أن السلاح مخزن وكذلك المواد الغذائية، أما الجيش العباسي، فهو منهك بشكل كبير جداً ، لطول المسافة بين سامراء وعمورية ويعاني من نقص في مواد التموين كما مرّ بنا .

وصل أشناس إلى مدينة عمورية مسقط رأس الإمبراطور البيزنطي تيوفيل بن ميخائيل ثم تلاه المعتصم بالله بعد ذلك (٣) ، فدار الخليفة المعتصم بالله حول مدينة

---

(١) مجهول: العيون ٣٩٢/٣ ؛ طقوش، محمد سهيل :تاريخ الدولة العباسية دار النفائس ط١ ١٤١٧هـ/١٩٦٦م ص١٥٠.

(٢) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٤٤.

(٣) أبو الفدا: المصدر السابق٢/٤٤- ٤٦ ؛الخضري: المرجع السابق ص٢٤٥.

عمورية ، يصحبه كبار القادة العسكريين والمستشارين ، متفحصاً أسوارها مركزاً على نقاط الضعف فيه ، فوجد الخندق عميقاً ، والاسوار مرتفعة والجيش البيزنطي متمركزاً في مواقعه ، فاتبع خطة عسكرية جديدة لم تتبع من قبل في أثناء الحرب مع الإمبراطورية البيزنطية ، وهو تقسيم المدينة على قطاعات ، كل قطاع يخضع لأمرة قائد من قواد الجيش العباسي أولاً ، وثانياً هو قيام كل قائد من القادة مع جيشه بالهجوم على المدينة في قطاعه في يوم معين ، ليستريح بقية أفراد الجيش العباسي ، وليرفع الحماسة في صفوف المقاتلين الذين عليهم القتال حتى يتبين جهد كل فرقة عسكرية على انفراد ، مع الأخذ بعين الاعتبار الاحتياطات الأخرى وهو قيام قسم من الجند الذين لا تشترك فرقهم العسكرية بالهجوم ، بمشاغلة العدو ومراقبة تحركاته ومراقبة أي إمدادات قد تصل إلى مدينة عمورية ، أو قبر أية محاولة لمحاصرة الجيش العباسي ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، كان على الخليفة أن يضع خطة محكمة تمنع أي اتصال بين الإمبراطور البيزنطي والجيش البيزنطي المُحاصر في مدينة عمورية ، وقد تمّ أسر عدد من الروم الذين خرجوا سراً من مدينة عمورية ، وحملوا رسائل للإمبراطور البيزنطي ، واستطاع الخليفة بحكمته وحنكته استمالة هؤلاء الأسرى إلى جانبه وجعلهم عيوناً له ، وكان أحدهما يتقن العربية والآخر غلام رومي [1] ، واستدل منهم الخليفة على نقاط الضعف في السور ، كما تبين للخليفة خطة قائد عمورية ، الذي غير خطة الدفاع عن المدينة إلى الهجوم على الجيش العباسي ، حيث كان من المقرر فتح الأبواب والاشتباك مع الجيش العباسي دفعة واحدة حتى تتخلخل مواقعه ، فامر الخليفة المعتصم بالله بتغيير في خطة الهجوم ، وهي مراقبة الأبواب ، فأمر الفرسان بأن يبيتوا على دوابهم

(١) إبراهيم ، نبيلة : الأميرة ذات الهمة ، دراسة مقارنة ، دار الكتاب العربي القاهرة(د.ت) ص٩٠ ؛ عبيد ، طه خضر : العيون والجواسيس بين العباسيين والبيزنطيين حتى منتصف القرن الثالث الهجري ، مجلة التربية والعلم العدد٢١ السنة ١٩٩٨ ، ص ١٩٠.

بالسلاح [1] . وبهذا فوت الخليفة المعتصم بالله الفرصة على ياطس قائد حامية عمورية، وأعلمه أيضاً بأنه قد كشف خطة الهجوم البيزنطي، ووردت إشارات إلى أن عيون الجيش العباسي قد وصلت إلى داخل مدينة عمورية ونقلوا أسرار تحصينات المدينة إلى الخليفة العباسي [2] ، كما ركز الجيش العباسي على نقطة الضعف في السور، بحيث أذهلت خطة الهجوم العباسية القائد البيزنطي ياطس قائد حامية عمورية، ثم نصبت المقاذيف العظام لضرب السور، وتم ردم أجزاء من الخندق لمسير الدبابات الخشبية عليه، بعد أن حشيت جلود الحيوانات بالتراب ووضعت في الخندق، وأعدت السلالم وظل المنجنيقيون يلقون الأحجار بالمقاذيف على الثلمة التي تهدمت من السور، حتى انهدم السور وعبر الجيش الخندق، وصعد بقية الجيش العباسي على السلالم من الجهات الأخرى، وتم دخول المدينة من المنطقة التي كان عليها القائد إيتاخ والمغاربة ـ فرقة من فرق الجيش العباسي من أهل مصر وشمال أفريقيا ـ، وفتحت بقية أبواب المدينة بعد حصار دام أكثر من خمسة وخمسين يوماً ، حيث سقطت يوم الثاني عشر من آب ٨٣٨ م/٢٢٣هـ . [3]

وقد أمر الخليفة المعتصم بالله بسيل "بازيل" المترجم، بأن يميز بين أشراف الروم وأغنيائهم عن باقي الأسرى [4]، كما أمر الخليفة بجمع الغنائم أمام قائد قطاعات

---

(١) مجهول: العيون ٣/٣٩٣.

(٢) الطبري: المصدر السابق ٩/٦٣- ٦٤.

(٣) الطبري: المصدر السابق ٩/٦٥، ٦٤- ٧٠، ٦٦؛ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم[ت٢٧٦هـ/٨٨٩م]: المعارف تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف القاهرة، ط١٩٦٢، ٢م ص ٣٩٢؛ مجهول: العيون ٣/٣٩٣؛ أبو الفدا: المصدر السابق ٢/٤٤- ٤٥؛ فاسيليف: المرجع السابق ص١٥١.

(٤) الطبري: المصدر السابق ٩/٧٠؛

Bury:op.cit,pp,264-266.

المدينة ،وأمر القاضي أحمد بن داؤد [١] ، بإحصاء ما لدى كل قائد، ثم أمر بأن تباع ، فبيعت الغنائم في خمسة أيام، وأمر الخليفة بأن لاينادى على السبي بأكثر من ثلاثة أصوات، وأن لا تفرق العوائل، وعلى الرقيق خمسة خمسة وعشرة عشرة، وعلى المتاع الكثير جملة واحدة، وأمر بالباقي فضرب بالنار، وخرب سور عمورية حيث تم وضعه بالأرض [٢]، وقد سبيت أكثر من ٤٠٠٠ فتاة و٤٠٠٠ شاب، أما الباقون فقد أبعد قسم منهم إلى بلدان مختلفة [٣] .

بعد هذا النصر الكبير الذي حققه الجيش العباسي على الجيش البيزنطي، كانت خطة الخليفة المعتصم بالله تقتضي بالتوجه فوراً إلى القسطنطينية لاستثمار النصر، فالجيش الذي كان يقوده الإمبراطور البيزنطي قد اندحر، ومعظم الجيش الذي أعد للدفاع عن عمورية قد أبيد أو أسر، وفُرغت عمورية من كل شيء حتى لا تتخذ قاعدة انطلاق في هجوم جديد ، وأحرقت حيث أقام عليها الخليفة أربعة أيام يهدم ويحرق [٤] ، لكن حدوث مؤامرة لاغتيال الخليفة المعتصم بالله، حاكها بعض قادة الجيش العباسي، وأشركوا فيها العباس بن المأمون، أجلت خطة دارت بخلد الخليفتين عبد الله المأمون والمعتصم بالله وهو التوجه لفتح القسطنطينية، ولو

---

(١) أحمد بن داود: كان والده يعمل حائكاً، وترقت به الحال إلى أن صار قاضي القضاة وصار يتحكم في الدول ويولي الوزراء وولاة الأمصار ويعزلهم، اليعقوبي :المصدر السابق ٤٧٨/٢ ؛ المسعودي: المصدر السابق ٤٥٩/٣ ؛ابن العمراني: المصدر السابق ١٠٧/١.

(٢) مجهول: العيون٣٩٥/٣ ؛ الحميري: المصدر السابق ص٤١٤ ؛ لسترانج: المرجع السابق ص١٧٠ ؛ سالم، موفق نوري: العلاقات العباسية البيزنطية١٣٢- ٢٤٧هـ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ١٩٩٠م، ص ٣٧٥.

(٣)مجهول: تاريخ الرهاوي ص٥٠.

(٤) المسعودي: المصدر السابق ٤٧٢/٣.

قدر لهذه الخطوة النجاح ، لتغير وجه التاريخ منذ أمد بعيد، ولكن ما شاء الله كان وكان أمر الله قدراً محتوماً.

اضطر الخليفة المعتصم بالله إلى العودة إلى سامراء، وفي الطريق تخلص من خيرة القادة العباسيين الذين أبلوا بلاءً حسناً في فتح عمورية، لاشتراكهم في محاولة اغتيال الخليفة (١) ، ونقل الخليفة أحد أبواب مدينة عمورية إلى بغداد " فلم يرّ مصراعين أكبر منهما من الحديد ، وأصبح أحد أبواب بغداد الشرقية، والذي يعرف بباب العامة، وهو أحد أبواب دار الخلافة في الرصافة. (٢) ودخل الخليفة المعتصم بالله مدينة سامراء في احتفال مهيب، وقد سار ياطس قائد حامية عمورية هو والبطارقة الذين معه في موكب الأسرى، ثم صلب ياطس إلى جانب بابك الخرمي هو وأربعون من كبار قادة الجيش البيزنطي (٣) .

وقد مدح الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الخليفة المعتصم بالله بقصيدة طويلة نقتطف منها:

السيف أصدق إنباءً من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

---

(١) مجهول: العيون ٣/٣٩٧- ٣٩٨.

(٢) اليعقوبي: المصدر السابق ٢/٤٧٦؛ ابن خرداذبة: المصدر السابق ص٢٥٣؛ابن العمراني: المصدر السابق ١/١٠٦؛القزويني، زكريا بن محمد [ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م]: آثار البلاد وأخبار العباد ، دارصادر دار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ن ص ٣١٦.؛ماجد: العصر العباسي ص٤٢٣.

(٣) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي [ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م]: تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي (د.ت)٣/٣٤٤.؛السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر[ت٩١١هـ/١٥٠٥ م]: تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الفجالة، القاهرة ،ط٤، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ٣٣٦؛الخضري: المرجع السابق ص ٢٤٦- ٢٤٧؛ ماجد : العصر العباسي الأول ص ٤٢٤. وقال الخطيب البغدادي إنهم ستون بطريقاً.

فـتح الفتـوح تعـالى أن يحـيط بـه ... نظـم مـن الـشعر أو نثـر مـن الخطـب
يـا يـوم وقعـة عموريـة انـصرفت ... عنـك المنـى حفـلاً معـسولة الحلـب
أبقت بني الأصفر المصفر كاسمهم ... صفر الوجوه وجلت أوجه العرب [1]

انعكاسات فتح عمورية على الوضعين الإسلامي والبيزنطي:

١- كان انتصار البيزنطيين في صقلية، أحد الأسباب التي شجعت الإمبراطور البيزنطي والدول المجاورة له بالهجوم على الحدود الإسلامية، حيث أمدته هذه الدول بالقوات العسكرية، فقد توجه الأغالبة التابعين للخلافة العباسية إلى فتح جزيرة صقلية، وتوجهوا إلى فتح أحد الحصون المنيعة في الجزيرة وهو حصن كفالو الواقع على شاطيء الجزيرة الشمالي، والذي يبعد عن عاصمة الجزيرة بلرم بِ ثمانية وأربعين ميلاً، فوصلت للقوة المحاصرة في الحصن إمدادات من الدولة البيزنطية رفقة القائد البيزنطي ألكسيس موسسيلي، صهر الإمبراطور البيزنطي، الذي أعانته ظروف محلية وخارجية على الانتصار على العرب، حتى إنهم رفعوا الحصار عن حصن كفالو [2]، وكان هذا النصر البسيط مدعاة لأن يستثمر الإمبراطور البيزنطي النصر لصالحه، فقاد هجوماً عسكرياً على مدينة زِبَطْرَة [3] في عام٢٢٢هـ/٨٣٦م، وهجم في العام التالي على ملطية [4] في عام ٢٢٣هـ/٨٣٧م، وبعد تخريبه لمدينة زِبَطْرَة عاد الإمبراطور البيزنطي إلى القسطنطينية مظفراً، إذ أمر ببناء قصر على الطريقة العربية، لا تزال آثاره باقية إلى اليوم في تل دراكوس تيب قرب البحر، كما أمر بزرع الحدائق بالورود وشيد قناةً

(١) التبريزي، الخطيب: ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده عزام دار المعارف القاهرة ط١٩٧٦، ٤، ٤/٤٠- ٤٥.

(٢) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٢٩- ١٣٠. ماجد: العصر العباسي ص٤٢٥- ٤٢٦.

(٣) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٣٠.

(٤) الأزدي: المصدر السابق ٢/٤٢٤- ٤٢٦.

تخليداً لهذا النصر، وزينت العاصمة وخرج الأطفال للقائه وعلى رؤوسهم تيجان من الزهور، كما أمر بتشييد حلقة للسباق، ظهر فيها الإمبراطور، وعليه ثياب زرق فوق عربة تجرها الخيول البيض وهو يلبس تاج النصر، في حين كان البيزنطيون ينادون أحسنت السير أيها السائق الأصيل وبين يديه أسرى زِبَطْرَة [(١)] .

٢- تأخرت نجدة الخليفة العباسي المعتصم بالله عدة شهور، وذلك لعدة أسباب منها:

آ- انشغال الجيش العباسي في القضاء على حركة بابك الخرمي.

ب- تعب الجيش العباسي العائد من منطقة أذربيجان، إلى مدينة سامراء، وكان من المفروض أن ينال هذا الجيش قسطاً من الراحة والاستجمام، وإعادة التدريب والتشكيل بعد ذلك.

ج- طول المسافة من سامراء إلى جبال الأناضول (طوروس)، وصعوبة وصول الإمدادات، لأن حركة بابك الخرمي قد أنهت تقريباً كل احتياطات الجيش من العتاد والخيول والبغال والمواد الغذائية، فضلاً عن التعب الجسدي للمقاتلين.

٣- بعد تخريب مدينة زِبَطْرَة وملطية وغيرها، توجه الخليفة المعتصم بالله وفتح عمورية، وقام ببناء عدة حصون تقوم مقامها وهي طبارجي، الحسينية، بني المؤمن، ابن رحوان، كما رمم زِبَطْرَة [(٢)]، وقال الخليفة المعتصم بالله " أديت دين زِبَطْرَة" [(٣)]، كما هَزَمَ الإمبراطور البيزنطي الذي لم يهزم من قبل [(٤)] .

---

(١) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٢٧- ١٢٨.

(٢) قدامة: المصدر السابق ص١٨٦ ؛فاسيليف: المرجع السابق ص١٥٣ ؛ عثمان، فتحي: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٦م، ٢٤١/١.

(٣) الطبري: المصدر السابق ١٢٣/٩.

(٤) الفراء، أبو علي الحسين بن محمد[ت٣٩٠هـ/٩٩٩م]: رسل الملوك ومن يصلح للرسالة وللسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٧م ص٣١ ؛طاقة: المرجع السابق ص٤٦- ٤٧.

٤- ارتفع اسم الخليفة المعتصم بالله عالياً وظل اسمه مذكوراً وأنموذجاً رائعاً للمروءة والشرف والدفاع عبر القرون عن حدود الدولة الإسلامية [١] .

٥- لما عرف الإمبراطور البيزنطي مافعله العرب في عمورية جعل يلوم نفسه، لأنه هو السبب في ذلك عندما خرب زِبَطْرَة [٢] .

٦- أعد الخليفة المعتصم بالله حملة عسكرية كبيرة، لا تقل عن حملة عمورية، أسندها بحملة بحرية ، قدر عدد سفنها بـِ أربعمائة سفينة ، هاجمت جميعها القسطنطينية بقيادة أبي دينار، لكن الرياح، عرقلت حركة هذه السفن، إذ تعرضت إلى عاصفة بحرية، أغرقت معظم السفن، ولم تنجح الحملة البرية كذلك في فتح القسطنطينية الهدف الأكبر للخليفة المعتصم بالله [٣] الذي أدركته الوفاة ولم يتحقق له فتحها [٤] .

٧- كشفت الحملة على عمورية عن ضعف الإمبراطورية البيزنطية، وعجزها عن مقاومة قوة الدولة الإسلامية المتنامية [٥] .

٨- أصيب الإمبراطور البيزنطي بصدمة كبيرة جداً ، أفقدته صوابه ،بحيث ترك أنقرة وعمورية والقسطنطينية لقمة سائغة أمام الجيش العباسي، حيث نجح في أنقرة وعمورية، ولم تفلح في الوصول إلى القسطنطينية ، بسبب المؤامرة كما

(١) مصطفى، شاكر: دولة بني العباس الكويت ١٩٧٨م ص٥٧١ ؛السامرائي، يونس الشيخ صالح: تاريخ مدينة سامراء، مطبعة الأمة بغداد (د.ت)، ١٧/٢.

(٢) ابن العبري: المصدر السابق ص٣٣.

(٣) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٧٠- ١٧١.

(٤) الطبري: المصدر السابق ١١٨/٩- ١١٩ ؛ أبو الفدا: المصدر السابق ٤٥/٣ ؛ العدوي، إبراهيم أحمد: الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، مكتبة نهضة مصر (د.ت) ص١٥٠.

(٥) طقوش: المرجع السابق ص١٥٠

ذكرنا، ووقف موقف المتفرج على ما سيحدث في بلاده، وحتى النجدة التي أرسلها إلى أنقرة وصلت بعد فوات الأوان [1] .

٩- إن الإمبراطور البيزنطي قد أخطأ خطأً فادحاً بتقسيم جيشه وتشتيته، فقسم قد تركه لمواجهة الجيش الرئيس بقيادة الخليفة المعتصم بالله، وقسم آخر قاده بنفسه لملاحقة قوات الإفشين عله يحرز نصراً عليه، فضلاً عن عجزه عن نجدة أنقرة وعمورية، وهي هدف الحملة، فلو كان يمتلك القدرة والذكاء والكفاءة، لحاصر الجيش العباسي المُحاصر لمدينة عمورية، وجعل الجيش العباسي بين نارين، نار القوة المدافعة عن عمورية ونار القوة البيزنطية بقيادته، كما أن الجيش الذي تركه مع ابن خاله على نهر الهيلس، قد تفرق وترك قائده، ولم يطع أوامره، وقد أرسل الإمبراطور البيزنطي أوامره إلى المدن والحصون، بأن يقبضوا على الهاربين ويجلدوهم ويبعثوا بهم إلى مقر جيشه [2] .

١٠- جرت مراسلات بين الإمبراطور البيزنطي وبين الخليفة العباسي، ونظراً لأهميتها فسوف نناقش هذه الرواية، فقد جاء في الرسالة: " من تيوفيل بن ميخائيل - حتى انتسب إلى ثلاثة أو أربعة ملوك – إلى أخيه المعتصم ...إن الملوك لم تزل تغزو بعضها بعضاً ويعلو بعضها على بعض، وربما أتيت من وزراء السوء، وقد كان منا بِزِبَطْرَة ما كان، وتبينت وجه الخطأ فيه، وقد كلت لي بالصاع أصوعاً، فيما فعلت بعمورية، وأنا أسألك بالطينة المباركة التي أنت منها، أن تنعم عليّ بإطلاق بطارقتي، فإنهم مائة وخمسون بطريقاً، وأنا أفتدي كل واحد منهم بمائة من المسلمين، وقد تهادت الملوك قبلنا، وقد وجهت مع رسولي

---

(١) طقوش: المرجع السابق ص ١٥٠.

(٢) الطبري: المصدر السابق٩/٦٠ ؛ فاسيليف: المرجع السابق ص ١٤١.

من الثياب الديباج المذهبة أربعين ثوباً "[1] فوصل مبعوث الإمبراطور إلى سامراء، فاستقبله الوزير وأخر مقابلته للخليفة مدة من الزمن، ثم سمح له بعد ذلك ، وقابل الخليفة المعتصم بالله وقبل هديته [2] ، ويقال إن الإمبراطور البيزنطي أرسل رسالتين للخليفة [3] .

كانت وراء هذه الرسائل، دوافع سوف نتبينها في النقاط الآتية وهي : أن الإمبراطور البيزنطي كان قد شكل فرقة عسكرية من الخرمية ، وعين على رئاستها نصيراً الكردي (تيوفوب) ، وقد اشتركت هذه الفرقة العسكرية في الحملة على مدينة زِبَطْرَة [4] ،فكيف لم يعرف ما سيفعله الخرمية الذين دحرهم الجيش العباسي في أذربيجان، كما أن الإمبراطور البيزنطي، كان على علم تام بحملة الخليفة على القسطنطينية، فلهذا جاءت هذه المحاولة – إرسال الرسائل – لكسب الوقت، ولتفويت الفرصة على الخليفة العباسي، لغرض عدم إرسال الحملة العسكرية إلى عاصمة الإمبراطورية البيزنطية [5] .

وبعد اندحار الإمبراطور البيزنطي أمام الإفشين ، أرسل الإمبراطور البيزنطي رسالة إلى الخليفة العباسي المعتصم بالله ،يطلب فيها عقد الصلح ويعتذر عما بَدَرَ منه في زِبَطْرَة ،وتعهد بإعادة إعمار المدينة المخربة، إذ يقول في رسالته : " إن الذين فعلوا بزِبَطْرَة ما فعلوا قد تعدوا أمري " [6] . إن الإمبراطور البيزنطي قد قاد الحملة

---

(١) الفراء: المصدر السابق ص٣٤.

(٢) الفراء: المصدر السابق ص ٣٥.

(٣) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٥٥.

(٤) الطبري: المصدر السابق ٩/ ٥٩.

(٥) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٥٦

(٦) اليعقوبي: المصدر السابق ٢/ ٤٧٦؛ فاسيليف :المرجع السابق ص١٢٨؛ نوري: المرجع السابق ص٣٧٥.

بنفسه وخربت زِبَطْرَة أمامه، وعندما أرسل الخليفة فرقة عسكرية لنجدة أهل الثغور ، وجدت الإمبراطور البيزنطي ، قد ساق الأسرى ودخل أراضي الإمبراطورية البيزنطية ، كما أن الإمبراطور البيزنطي، عندما علم بتحرك الخليفة نحو عمورية ، قاد حملة كبيرة وتوجه إلى الحدود ، وظل شهراً ينتظر الجيش العباسي على ضفاف نهر الهيلس، حتى أصابه الملل من طول الانتظار، ثم تحرك الإمبراطور البيزنطي تاركاً موقعه ، معتقداً أن الجيش الرئيس هو مع الإفشين، ولهذا لحق به ، فاندحر أمامه، فلا مجال للقول: أن ما حدث بِزِبَطْرَة وغيرها قد حدث عن دون قصد ودون علم الإمبراطور البيزنطي [1] .كما ان الحملة العسكرية التي أعدها الإمبراطور البيزنطي تيوفيل بن ميخائيل ، لم تقتصر على الإمبراطورية البيزنطية، ولو أعدنا النظر في النص التالي ، لرأينا أنها أعدت بتدبير محكم ومخطط له من الإمبراطور البيزنطي نفسه ومن ملوك الدول المجاورة والمساندة له إذ " خرج تيوفيل ملك الروم في عساكره، ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الأمم " [2] . مما ينفي عنه تهمة البراءة التي أعلنها عما حدث في مدن الثغور، وانه كان مصمماً على مجابهة الخلافة العباسية بكل قواه فضلاً عن جيوش الدول المتحالفة مع الإمبراطورية البيزنطية، التي جاءت بناءً على طلبه وموافقته، إذ لايمكن أن تدخل جيوش دول أخرى إلى دولة ما، دون أخذ الإذن والموافقة من تلك الدولة التي تمر الجيوش بأراضيها، وهي الإمبراطورية البيزنطية، فضلاً عن قيام الإمبراطور البيزنطي بقيادة الحملة بنفسه وتحمله لمسؤوليتها سواءً أخفقت أم نجحت تلك الحملة.

١١- استنجاد الإمبراطور البيزنطي، بعد فتح عمورية ، بملوك الغرب لمساعدته، فقد أرسل رسالة مستعجله إلى لويس الفرنجي(الذي يطلق عليه لويس

---

(١) اليعقوبي: المصدر السابق ٤٧٦/٢ ؛فاسيليف: المرجع السابق ص ١٢٨ ؛طقوش: المرجع السابق ص١٥٠

(٢) المسعودي: المصدر السابق ٤٧٢/٣.

التقي)، والى أمير البندقية الدوق بييرترانديكو حيث " بلغت رسله أقصى الغرب – وكان – هدف الوفد المرسل...إنما كان طلب المَدَدْ من البنادقة والفرنج لحرب العرب المغاربة "(١) ، أي مجابهة المسلمين في شمال أفريقيا وتهديد إمارة الأغالبة التابعة للخلافة العباسية من أجل فتح جبهة جديدة ضد المسلمين، كما حرضهم أيضاً على مهاجمة مصر وبلاد الشام (٢) .لكن ملوك أوربا الذين وصلتهم رسائل الإمبراطور البيزنطي تيوفيل بن ميخائيل ، كانوا مشغولين بصراعات داخلية وخارجية، حتى إن السفارات لم تستطع أن تعود بطريق الذهاب نفسه للعودة إلى القسطنطينية (٣) .وقد وعد لويس الإفرنجي الوفد البيزنطي، بأنه سيعمل كل ما في وسعه لنجدة القسطنطينية (٤) .وقد استجابت البندقية بإرسال حملة مؤلفة من عدد كبير من السفن توجهت إلى مدينة تارنت ،وحاولت طرد الأغالبة منها، حيث جرت معركة بحرية عنيفة انتهت بانتصار العرب الأغالبة وهزيمة البنادقة في معركة تارنت، ولم يكتف الاغالبة بالنصر بل لاحقوا الحملة في العمق الإيطالي. (٥)

١٢- بعد إخفاق البعثة الأولى إلى ملوك الغرب، سعى الإمبراطور البيزنطي إلى عقد تحالف ومصاهرة بين ابنة الإمبراطورالبيزنطي ولويس بن لوتير، من أجل تعزيز الروابط بين الدولتين وعقد تحالف محكم لضرب المسلمين (٦) .

---

(١) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٦٢، ١٥٧.

(٢) صقر، نادية حسين: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص١٠٨.

(٣) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٦٣.

(٤) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٦٤.

(٥) فاسيليف: المرجع السابق ص١٦١- ١٦٢؛ صقر: المرجع السابق ص ١١٢- ١١٣.؛ Bury;op.cit,p,313.

(٦) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٦٤.

١٣- بعد الاندحار الذي تعرض له الإمبراطور البيزنطي على يد الجيش العباسي، بقيادة الإفشين وتشتت جنده ، ظهرت شائعات في القسطنطينية بأن الإمبراطور البيزنطي قد فقداو قتل في المعركة، وضرورة تنصيب امبراطور بديل منه، وقد نقلت والدة الإمبراطور البيزنطي إلى ابنها ما حدث ، فتعجل في الرجوع إلى القسطنطينية، وقام بقتل كل من اشترك في موآمرة خلعه ، أو تنصيب امبراطور جديد، وهذا ما يفسر لنا أيضاً رغبة الإمبراطور البيزنطي بعقد هدنة مع الخليفة المعتصم بالله ، بعد هزيمته أمام الإفشين[١] ، وقد عقدت في أواخر سنة٢٢٧هـ/٨٤٢م هدنة بين الدولتين بعد أن اعتقدت كلتا الدولتين، بوجوب احترام سيادة الدولة الأخرى، بعد رسالتي تهديد تبودلت بين الدولتين، بدأها الإمبراطور البيزنطي، بعد أن اعتقد بمساعدة الغرب له [٢] .

١٤- نتيجة لعجز الإمبراطور البيزنطي تيوفيل بن ميخائيل عن مجابهة الخلافة العباسية، أصيب بكآبة وحمى وصداع، حتى إنه كان يشرب الماء المثلج ويظنه حاراً، أو دافئاً، ويقال إنه أصيب بالدوسنتاري، التي أدت إلى مرضه ووفاته، فعهد بالملك لابنه ميشيل الثالث ٨٤٢- ٨٦٧م/٢٢٨- ٨٨٠هـ البالغ من العمر ست سنوات، فأصبحت أمه تيودورا وصية عليه [٣] .

* * *

(١) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٤٢.

(٢) الخطيب: المصدر السابق ٣٤٤/٣؛ صقر: المرجع السابق ص ٢٢٨؛ طقوش: المرجع السابق ص١٥٠- ١٥١.

(٣) فاسيليف: المرجع السابق ص ١٦٩، ١٥٧- ١٧٠، ؛فرج،وسام عبد العزيز: دراسات في تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٧م ص ١٩٧.

الخلاصة:

شكلت معركة عمورية إحدى المعارك المهمة في تاريخ الصراع الإسلامي البيزنطي في العصر العباسي، فقد استغلت الإمبراطورية البيزنطية الظروف الداخلية للخلافة العباسية لصالحها، وبدأت تهاجم الثغور الإسلامية، وكان أخطر تلك الأعمال ما قامت به في مدينة زِبَطْرَة ، حيث مثلت بالأسرى وأحرقت المدينة، وأخذت الإمبراطورية وعلى رأسها الإمبراطور البيزنطي تتباهى بتلك الانتصارات التي حققتها على المسلمين.

لهذا جاء الرد قاسياً من الخليفة العباسي المعتصم بالله، الذي قاد أكبر جيش عرفته الخلافة العباسية، واتجه إلى أفضل مدينة بعد القسطنطينية وهي مدينة عمورية، وفعل بها مثلما فعل البيزنطيون بِزِبَطْرَة، وقد أدرك الإمبراطور البيزنطي خطأه بعد فوات الأوان ، وحاول العمل بأكثر من اتجاه من أجل أن يحقق نصراً على المسلمين لكنه أخفق في ذلك، فاضطر إلى عقد صلح مع الخليفة المعتصم بالله، فضلاً عن أن تلك المعركة كانت المدى الأعظم الذي وصله الصراع الحربي العربي البيزنطي ، وبعدها بدأت الأحوال تتغير على تلك الجبهة.

* * *

ثبت المصادر والمراجع:

آ- المصادر:

١- **ابن الأثير**، عز الدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني : الكامل في التاريخ ، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٥م/١٣٨٥هـ.

٢- **الأزدي**، أبو زكرياء يزيد بن محمد : تاريخ الموصل تحقيق د. علي حبيبة ، القاهرة١٩٦٧م .

٣- **البغدادي**، أبوبكر أحمد بن علي الخطيب :تاريخ بغداد، دار الكتاب اللبناني ، بيروت(د.ت)

٤- **البغدادي**،عبد القادر بن طاهر بن محمد:الفرق بين الفرق، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ، ط١٣٩٣، ١هـ/١٩٧٣م.

٥- **البلاذري**، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان ، مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٧م/١٣٧٧هـ .

٦- **التبريزي**، الخطيب: ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده عزام.دار المعارف القاهرة ط١٩٧٦، ٤م.

٧- **جعفر**، قدامة :الخراج وصنعة الكتابة ، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الحرية بغداد ١٩٨١م.

٨- **الحميري**، محمد بن عبد المنعم :الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق د. إحسان عباس ، مكتبة لبنان بيروت، ١٩٧٥م.

٩- **ابن خرداذبه**،ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله: المسالك والممالك ، مكتبة المثنى بغداد (د.ت).

١٠- **خياط**، خليفة بن خياط :تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، النجف الأشرف ط١ ١٩٦٧م/١٣٨٧هـ.

١١- **الدينوري**،أبو حنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة جمال الدين الشيال، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ط١، القاهرة ١٩٦٠م/١٣٨٠هـ.

١٢- **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الفجالة القاهرة ط١٣٨٩، ٤هـ/١٩٦٩م.

١٣- **ابن طباطبا**، محمد بن علي: الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

١٤- **الطبري**، محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة ١٩٦١م/١٣٨١هـ .

١٥- **ابن العماد**، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة بيروت ط١٣٩٩، ٢هـ/١٩٨٩م.

١٦- **ابن العمراني**، محمد بن على بن محمد: الأنباء في تاريخ الخلفاء تحقيق د. قاسم السامرائي، ليدن ١٩٧٣م.

١٧- **أبو الفدا**، عماد الدين إسماعيل : المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني بيروت (د.ت) .

١٨- **الفراء**، أبو علي الحسين بن محمد : رسل الملوك ومن يصلح للسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٧م.

١٩- **ابن قتيبة**، أبومحمد عبدالله بن مسلم : المعارف تحقيق د. ثروت عكاشة ط٢، دار المعارف القاهرة ١٩٦٩م.

٢٠- **القزويني**، زكرياء بن محمد بن محمود : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

٢١- **مجهول**: تاريخ الرهاوي، ترجمة ألبير أبونا، مطبعة شفيق ، بغداد، ١٩٨٦م.

٢٢- **مجهول**: العيون والحقائق في أخبار الحقائق، تحقيق دي خويه ، بريل ١٨٧١م .

٢٣- **المسعودي**، أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت .

٢٤- **ياقوت**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي: معجم البلدان، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٥م.

٢٥- **اليعقوبي**،أحمد بن يعقوب بن جعفر:تاريخ اليعقوبي، المطبعة الحيدرية النجف الاشرف ط٤ ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

ب-المراجع الحديثة والمعربة والأجنبية :

١- **إبراهيم** ، نبيلة :الأميرة ذات الهمة ، دراسة مقارنة ،دار الكتاب العربي القاهرة (د.ت).

٢- **الجنابي**، خالد جاسم:تنظيمات الجيش في العصرالعباسي الثاني/ مطابع دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٨٩م.

٣- **الخضري**، محمد بك :محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (العصر العباسي).

٤- **الدباغ**،لطفي حميد (و)حازم حسن العلي:معركة عمورية، ندوة الفكر العسكري العربي ، بغداد ١٩٨٦م.

٥- **السامرائي**، خليل صالح وآخرون : تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي، الموصل ط١٩٨٨، ١م.

٦- **السامرائي**،يونس خليل:تاريخ مدينة سامراء، مطبعة الأمة بغداد (د. ت).

٧- **شاكر**،مصطفى: دولة بني العباس ، الكويت ١٩٧٨م

٨- **صقر**، نادية حسني : السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٩- **طاقة**، رنا صلاح: العلاقات الدبلوماسية بين العباسيين والبيزنطيين، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الموصل /كلية التربية ١٩٩٩م.

١٠- **طقوش**،محمد سهيل:تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس ط١/١٤١٧هـ/١٩٦٦م.

١١- **العبادي**، أحمد مختار:في التاريخ العباسي والأندلسي ، دار النهضة العربية بيروت، ١٩٧١م.

١٢- **عبيد**، طه خضر:النفير العربي الإسلامي إلى جبهة الثغور البرية مع الدولة البيزنطية، مجلة المؤرخ العربي العدد:٥٨،السنة ٢٠٠٠م/١٤٢٠هـ.

١٣- **عبيد**، طه خضر : العيون والجواسيس بين العباسيين والبيزنطيين حتى منتصف القرن الثالث للهجرة/ مجلة التربية والعلم العدد٢١ لسنة ١٩٩٨.

١٤- **العبيدي**، صلاح حسن: الملابس والأزياء في العصور العربية الإسلامية، موسوعة الجيش والسلاح، بغداد ١٩٨٨م.

١٥- **عثمان**، فتحي :الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦م.

١٦- **العدوي**، إبراهيم أحمد :الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ، مكتبة نهضة مصر.

١٧- **العريني**، السيد الباز: الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٥م.

١٨- **ابن العمراني** ، محمد بن علي بن محمد: الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق د. قاسم السامرائي ، ليدن ١٩٧٣م.

١٩- **فاسيليف** : العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادي أبو شعيرة، مراجعة فؤاد حسين علي، دار الفكر العربي(د.ت).

٢٠- **فرج**،وسام عبد العزيز: دراسات في تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧م.

٢١- **لسترانج**، كي: بلدان الخلافة الشرقية: ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عواد، مطبعة الرابطة ،بغداد ١٩٥٤م.

٢٢- **ماجد**، عبد المنعم:تاريخ الدولة العربية في العصر الأموي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤ ١٩٧٤ م.

٢٣- **ماجد**، عبد المنعم: العصر العباسي الأول.مكتبة الأنجلو المصرية١٩٧٣.

٢٤- **نوري**، موفق سالم :العلاقات العباسية البيزنطية،دار الشؤون الثقافية ،بغداد ١٩٩٠م.

25-Belke,klaus;Galaten und Lykaonien,TabulaImperi Byzantini, (Wien,1984),Band 4.

26-Bury;The History of Byzantian Empire,(london, 1912.)

27-Encyclopedia of Islam ,vol,1 2ed ,(Leyden.1960)

28-Theophanes ,Chronographiaed .de .Boor , (Lepzik ,1982) vol,I,p, 463.
29-Ramasy;The Historical Geography of Asia minor, (Amesterdam,1962).

الخارطة: تم استخراج هذه الخريطة، من خارطة ملونة بأربعة ألوان، معين عليها طرق المواصلات في عهود مختلفة، من كتاب Ramasy حيث جرى التأكيد على طرق المواصلات وأهم المدن التي لها علاقة بالبحث أيام الإمبراطورية البيزنطية.

الخارطة:

